

التلقيح الصناعي
"دراسة طبية فقهية مقارنة"



د . هشام بن عبد الملك بن آل الشيخ (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

(سورة آل عمران، الآية : ١٠٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ

(*) الأستاذ المساعد بقسم الفقه المقارن - المعهد العالي للقضاء .

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ (سورة النساء، الآية: ١) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١) .

أما بعد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة .

لا يخفى أن ميل الإنسان إلى التكاثر وطلب الولد مسألة غريزية، نابعة من أصل الفطرة الإنسانية، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ (سورة الكهف، الآية: ٤٦) .

فالإنسان يسعى بكل وسيلة لتحقيق هذه الرغبة، وقد وردت الإشارة إلى هذه الرغبة الفطرية في طلب الولد في عدة آيات قرآنية منها: قوله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٤) ، وفسرت الشهوات بأنها: جمع شهوة، وهي توقان النفس إلى المشتهى، والشهوة من فعل الله ولا يقدر عليها أحد من البشر، وهي ضرورية فينا؛ فإنه لا يمكننا دفعها عن نفوسنا، وقد زينها الله تعالى بما جعل في الطباع من الميل إليها، وبما جعل فيها من الزينة محنةً وتشديداً للتكيف .

وهكذا فإن طلب الولد أمر فطري فطر الله عليه الجنس البشري سواء في ذلك الصالح أو الطالح، والشرائع الإلهية لم تبطل هذا الحكم الفطري، ولا ذمت هذه الداعية الغريزية، بل مدحت وندبت إليها .

وقد ذكر القرآن الكريم قصص الأنبياء والصالحين الذين كانوا يدعون الله تعالى ليرزقهم الولد والذرية، مما يؤكد فطرية طلب الولد ومشروعيته.

فهذا نبي الله زكريا عليه السلام يدعو الله تعالى طالباً الولد قال الله تعالى : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية : ٨٩).

وهذا نبي الله إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام يدعو الله طالباً الولد فيقول : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة الصافات، الآية : ١٠٠).

وذكر الله تعالى دعاء المؤمنين الصالحين حيث قال سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (سورة الفرقان ، الآية : ٧٤).

وقد أقرت هذه الآيات هذا الحق الفطري الغريزي، فلم تعطله أو تلغيه بل شجعت على التناسل والتوالد، وأبرزت للإنسانية مظاهر متنوعة من رغبات أرقى نماذج الشخصية ألا وهم الأنبياء عليهم السلام، الذين أعلنوا عن هذه الرغبة الفطرية في ارتباطهم المتواصل مع المنعم سبحانه وتعالى.

والقرآن الكريم جعل هذا الدافع الفطري مهذباً ومنظماً، ووضع له مقدمات مشروعة عن طريق الرابطة الشرعي وهو الزواج، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٧٢).

وكذلك السنة النبوية أبدت في هذه الغريزة الفطرية عناية إضافية وحثت عليها، في الحديث عن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال : جاء رجل إلى رسول

الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال، إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال له مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»^(١).

وهناك حث وتشجيع على الولد الصالح لكي تكون الحياة صالحة يتطلع فيها الإنسان إلى آفاق أعلى واهتمامات أرفع.

وبصلاح الذرية والنسل تصلح الأمور في جميع جوانبها البشرية نحو التكامل والارتقاء.

فحينما لا تشبع هذه الرغبة طبيعياً بسبب مانع من الموانع، كالإصابة بالعقم أو بعض الأمراض، سيما النسائية فهو -أي الإنسان- يتشبت بما يسمى بالتلقيح الصناعي ويسعى جاهداً إلى تحقيق رغبته في الحصول على الولد بهذا الطريق^(٢).

والتلقيح الصناعي هو من الإجراءات الطبية الحديثة التي يكثر الحديث عنها والسؤال عن جدواها الطبية وأحكامها الشرعية.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع رأيت أن أكتب دراسة طبية فقهية مقارنة حوله، فاستعنت بالله تعالى وعليه سبحانه وحده توكلت، وقسمت هذا البحث إلى المباحث التالية:

(١) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، الحديث رقم (٢٠٥٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرک، في كتاب النكاح، برقم (٢٦٨٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي، (١٧٦/٢).

(٢) أخلاقيات التلقيح الاصطناعي نظرة إلى الجذور، للدكتور / محمد علي البار (ص: ١٠-٥)، أطفال الأنابيب بين العلم والشرعية، تأليف: زياد أحمد سلامة (ص: ٢٢-٢٥).

- المبحث الأول: شروط الحمل الطبيعي . وفيه مطلبان :
- المطلب الأول: أوضاع الأنثى وظروف التناسل .
- المطلب الثاني: أوضاع الذكر وظروف التناسل .
- المبحث الثاني: المقصود بالتلقيح الصناعي، وتاريخه . وفيه مطلبان :
- المطلب الأول: المقصود بالتلقيح الصناعي .
- المطلب الثاني: تاريخ التلقيح الصناعي .
- المبحث الثالث: صور التلقيح الصناعي وأنواعه . وفيه ثلاثة مطالب :
- المطلب الأول: صور التلقيح الصناعي .
- المطلب الثاني: التلقيح الصناعي الداخلي .
- المطلب الثالث: التلقيح الصناعي الخارجي .
- المبحث الرابع: خطوات التلقيح الصناعي ، والشروط اللازمة .
- المبحث الخامس: أخطار التلقيح الصناعي والتشوهات المحتملة .
- المبحث السادس: التلقيح الصناعي عند غير المسلمين .
- المبحث السابع: آراء الفقهاء في التلقيح الصناعي .
- المبحث الثامن: التلقيح الصناعي بعد وفاة الزوج وحكمه .
- المبحث التاسع: الرحم المستأجرة . وفيه مطلبان :
- المطلب الأول: حكم المعاملة على الرحم المستأجرة .
- المطلب الثاني: حكم بنوك الأجنة .
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

وقد كان منهجي في هذا البحث هو دراسة جوانب التلقيح الصناعي من الناحية الطبية والفقهية، ومحاولة الرجوع - قدر المستطاع - إلى المراجع الأصلية في ذلك من كتب وبحوث متخصصة في هذا المجال .

ثم إنني لا أزعم فيما أحرر وأقرر أن ما وصلت إليه في بحثي هو حكم الله الحق قطعاً وجزماً، إنما شأني كشأن غيري ممن استفرغ وسعه، وبذل غاية جهده في البحث الصادق المخلص عما قد يكون هو الحق، فإن أصبت فذلك فضل من الله وحده وتوفيقاً أحمده عليه أصدق الحمد، وأشكره أجزل الشكر، وإن أخطأت كان عذري أنني قصدت الحق ابتغاء وجه الله تعالى، وإسهاماً في التمكين لشريعته، ولم آلُ في ذلك جهداً، ثم أسأل من يطالعه أن يبادر في تنبيهي إلى الخطأ، فالكل معرضٌ للخطأ، وجلٌّ من لا يخطئ، وإنما الأعمال بالنيات .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

المبحث الأول

شروط الحمل الطبيعي

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أوضاع الأنثى وظروف التنازل :

من أجل أن يتضح الدور الذي تلعبه عملية التلقيح الصناعي في التغلب على بعض الموانع التي تحول دون تكوّن الجنين بصورة طبيعية، فإنه من المناسب أن ألقى الأضواء على العوامل المؤثرة في الحمل، وكيفية حصوله .

وهذه العوامل بصورة إجمالية هي :

١- أن تنتج الأنثى بويضة في مبيضها أو مبيضها .

- ٢- أن تكون قناتا فالوب مفتوحتين .
 - ٣- أن ينتج الذكر حيوانات منوية صحي .
 - ٤- أن يصل الحيوان المنوي الصحي إلى البويضة خلال تواجدها في قناة فالوب .
 - ٥- أن تكون بطانة الرحم مهياة لغرس البويضة المخصبة أو الملقحة بالحيوان المنوي .
 - ٦- أن تنتج الأنثى الهرمونات المناسبة لتغذية البويضة المخصبة أو الملقحة بالحيوان المنوي بعد غرسها في الرحم^(١) .
- فعندما تولد الأنثى تكون حاملةً للميوني بويضة في مبيضها تقريباً، ومع وصولها إلى مرحلة البلوغ ينخفض ذلك العدد كثيراً، وعندما تصل إلى مرحلة الطمث تبدأ العملية التناسلية بإطلاق إحدى تلك البويضات^(٢) وتبدأ القدرة على إيجاد حياة جديدة عندما تنبّه أو تثير الغدة النخامية القابضة تحت الدماغ الجهاز التناسلي بواسطة هرمونين: الهرمون المنبه، والهرمون المصغر .
- وهذان الهرمونان هما من نوع الموصلات أو الرسائل الكيميائية من الغدة النخامية إلى المبيضين اللذين هما عضوان بحجم الجوزة يقعان على جانبي الرحم، ويحتوي المبيضان على إمداد من البويضات يستمر مدى الحياة وكل بويضة مغلفة بغلاف يعرف بالجريب المبيضي، وهو تجويف صغير أنبوبي بسيط القوام^(٣) .

وفي كل شهر يبدأ حوالي ٢٠ جريباً من البويضات كل جريب يحمل بويضة واحدة بالنمو وبعد نموها تقوم التغيرات الهرمونية في الجسد بإيقاف النمو الجريبي

(١) انظر: الشبكة العنكبوتية عبر الموقع التالي : www.islamicmedicine.org

(٢) فسيولوجيا التناسل والتلقيح الصناعي، د. أحمد رحال وحسن المبروك (ص: ٩٦)، سيدتي الحامل، د.

عبد الله حسين باسلامة (ص: ٤٦)، دورة الأرحام، د. محمد بن علي البار (ص: ١٢-١٣) .

(٣) سيدتي الحامل، د. عبد الله حسين باسلامة (ص: ٤٤) .

باستثناء جريب واحد، وفي بعض المناسبات ينمو أكثر من جريب واحد ويلقح أو يخصب بالحيوان المنوي مما يؤدي إلى الحمل المضاعف أي أكثر من طفل في وقت واحد.

يتابع الجريب نموه حتى حوالي اليوم الرابع عشر من دورة الطمث (الحيض) وعند تلك النقطة ينفلت من المبيض ويعوم بحرية، وحيث إنه محاط بسوائل دبقية أو لاصقة يتم التقاطه بواسطة نتوءات على شكل شعيرات تسمى الهدب، ويمرر على طول مسيرته البطيئة التي تستمر ثلاثة أيام حتى يصل إلى الرحم، وتكون هذه الرحلة عبر واحدة من قناتي فالوب^(١).

ويمكن للتلقيح أن يحصل فقط داخل قناتي فالوب، وقبل خروج البويضة من المبيض، ويقوم هرمون الإستروجين أو هرمون مولد الذكورة بتنبيه وإثارة إفراز المخاط الذي يسهل رحلة الحيوان المنوي عبر عنق الرحم باتجاه قناتي فالوب، وتقوم الجيوب الموجودة في عنق الرحم بالتقاط وجمع الحيوانات المنوية التي يمكنها أن تنتظر عدة أيام لحصول الإباضة^(٢).

وخلال الإباضة تصبح فتحة عنق الرحم طرية وتتوسع للسماح بمرور أسهل للحيوانات المنوية، وفوراً بعد الإباضة يقوم هرمون البريسترون وهو هرمون يهيئ الرحم لقبول البويضة الملقحة ويلعب دوراً في تثبيت الحمل بتحضير بطانة الرحم لاستقبال البويضة الملقحة^(٣).

وإذا لم يحصل التلقيح تنظف بطانة الرحم نفسها بالسليخ بعد ١٤ يوماً من الإباضة فيما يعرف بالحيض.

(١) دورة الأرحام، د. محمد بن علي البار (ص: ١٢-١٣).

(٢) سيدتي الحامل، د. عبد الله حسين بإسلامة (ص: ٤٤).

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد بن علي البار (ص: ١١٠-١١١).

وتتكرر هذه الدورة حوالي أربعمئة مرة خلال حياة الأنثى، وتنقطع فقط بفعل الحمل، أو المرض الخطير، أو عدم توازن الهرمونات^(١).

المطلب الثاني: أوضاع الذكر وظروف التناسل

يتركز دور الرجل في عملية التناسل أساساً حول إنتاج السائل المنوي أو الحيوانات المنوية، ولكي يكون الرجل مخصباً ينبغي أن يكون:

١- عدد الحيوانات المنوية كبيراً.

٢- الحيوان المنوي قادر على الحركة.

٣- تكوين الحيوان المنوي ملائماً وصحيحاً.

ينمو السائل المنوي الذي يضم الحيوانات المنوية في الخصيتين، وتنتج الخصيتين هرمون تيسستوستيرون وهو الهرمون الأساسي الذي يلعب دوراً في المهام الجنسية للذكور.

ويتحرك المنى عبر قناة تسمى القناة الدافقة، وخلال الإشارة الجنسية تقوم الإشارات العصبية بتنبيه المنى ودفعه في هذه القناة إلى داخل الإحليل حيث يلتقط مواداً تساعد في التنقل وتحقيق التوازن في حموضته^(٢).

وعندما يقذف الذكر حوالي ٢٠٠ مليون حيوان منوي في المهبل خلال الجماع، يسبح المنى عبر عنق الرحم ليصل إلى البويضة، وتستغرق الرحلة بالنسبة للمنى المستعصي حوالي ٦٠ إلى ٩٠ دقيقة لكن الملايين من الحيوانات المنوية لا تصل إلى وجهتها بل تصل بضعة مئات فقط إلى بويضة الأنثى، وبعضها يقتل بالإفرازات الحمضية في المهبل، وتسلك كميات أخرى طريقاً خاطئاً وتسبح عبر قناة فالوب

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد بن علي البار (ص: ١١٣). وانظر: الشبكة العنكبوتية عبر الموقع التالي: www.islamicmedicine.org

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد بن علي البار (ص: ١٨٤).

الخاطئة أي التي لا تحتوي على أي بويضة، بحيث تفقد فرصتها في الإخصاب^(١).

ويحصل التلقيح أو الإخصاب عندما يخترق حيوان منوي بطانة البويضة حيث توقف التغيرات الكيميائية في البويضة دخول أو نفاذ أي حيوان منوي آخر إليها، وتتابع البويضة الملقحة رحلتها نزولاً في قناة فالوب وتغرس نفسها في الرحم، فسبحان الله القائل: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الذاريات، الآية: ٢١).

المبحث الثاني المقصود بالتلقيح الصناعي وتاريخه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقصود بالتلقيح الصناعي

إذا ما أصيب الرجل أو المرأة بعقم بسبب من الأسباب سواء كانت هذه الأسباب مرضية أو عضوية، فإن كلا منهما يلجأ إلى ما يسمى بالتلقيح الصناعي. وهو إنجاب الأولاد بغير الطريقة الطبيعية (الجماع) وإنما يتم التلقيح بين ماء الرجل وماء المرأة في داخل أنبوب مخبري ومن ثم يزرع في رحم المرأة، فهذه العملية تسمى بالتلقيح الصناعي والأطفال الذين يولدون يسمون (أطفال الأنابيب)، على أساس أن التلقيح تمَّ داخل أنبوب^(٢).

(١) العقم وتعثر الإنجاب لدى الرجال، د. كاظم سليم عايش (ص: ٦٧)، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد بن علي البار (ص: ١٤١-١٤٣).

(٢) يرى د. عمر الكيلاني رئيس قسم العقم في مركز العقم في الأردن أن اصطلاح "طفل الأنابيب" اصطلاح غير علمي وغير لائق؛ بل ومرفوض ومنتهك من الأوساط العلمية، ويرى أن التسمية العلمية الصحيحة اصطلاح "التلقيح خارج الجسد" (انظر مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدورة الثالثة المجلد الأول (ص: ١٦) من مناقشة موضوع أطفال الأنابيب).

المطلب الثاني : تاريخ التلقيح الصناعي

كان أول تلقيح صناعي أجري سنة ١٧٨٠م قام به الكاهن الإيطالي لازارد الأخصائي بعلم الغرائز، حيث قام بإجراء التجربة على أنثى كلب، وقد استفاد من هذه التجربة ونتائجها الجراح بون هانتز فأعاد التجربة في سنة ١٧٨١م على أول امرأة وتكللت تجربته بالنجاح، وكانت تجربته فاتحة عهد جديد في الطب وفي معالجة العقم المستعصي.

وظهر التلقيح الصناعي بصورة أوضح في بداية القرن العشرين وقد تنبأ الكاتب الإنجليزي الدوس هكلي بميلاد طفل الأنبوب في عام ١٩٣٢م في روايته (عالم جديد شجاع) وقال بإمكانية الحفاظ على البويضة الملقحة حتى خارج جسم الأم بفضل التقنية الحديثة في درجة حرارة مثلى.

وفي عام ١٩٥٨م بدأ الدكتور دانييل بتروش الإيطالي أبحاثه في مجال القضاء على المشاكل التي يسببها انسداد المسالك المبيضية، وفي عام ١٩٦١م بدأ في تطبيق أبحاثه في عيادة خاصة في بولونيا إلى أن منعه إحدى الراهبات، وقد استمر في أبحاثه ولكن في إطار من السرية، واستطاع في عام ١٩٦٦م، على أن يحقق إنجازاً علمياً في مجال تلقيح البويضة بالسائل المنوي في وعاء خاص هو بمثابة رحم صناعي لفترة قصيرة من الزمن.

وفي إيطاليا أعلن العالم الإيطالي دوليتي عن نجاحه في تربية جنين بعيداً عن الرحم وفي أنبوب اختبار ولمدة زادت عن ٥٩ يوماً، وبعدها مات الجنين بعد أن تكونت خلال هذه الأيام كل ملامح الطفل حيث ظهر عموده الفقري وتكون قلبه ومعالم ليست قليلة من الجنين، وفي ذلك اليوم ثار الفاتيكاني ثورة عارمة على اللعب بعمليات الخلق، وأبدى اعتراضاً شديداً على التجربة، وحينما استنفذت التجربة أغراضها دمرها صاحبها.

وفي عام ١٩٦٦م أيضاً اكتشف الدكتور / إدواردز اللحظة الحاسمة التي يتم للبويضة خلالها أن تقبل اللقاح.

وفي عام ١٩٦٩م أعلن أن عمليات لقاح قد أجريت على ٦٥ بويضة، استطاع ١٨ منها أن تتجاوب مع التلقيح، ١١ منها استمرت متجاوبة، في أثناء ٣١ ساعة، بينما ٧ أخرى عاشت ملقحة لبضع ساعات فقط^(١).

وفي عام ١٩٧١م استطاع العالمان ستبتو وإدواردز تخطي عقبة مهمة وهي إبقاء اللقاح حياً لثلاثة أو أربعة أيام، ذلك أن هذه المدة تعد كافية لبداية تكوين الجنين، ومن ثم إعادته إلى الرحم ثانية، ولكن بقيت معضلة تحضير الرحم لاستقبال اللقاح، واستمرت تجاربهما سبعة أعوام، وعلى (٣٥٠) امرأة وكاننا في كل مرة يتوصلان إلى تطوير جديد للسائل الذي يحفظ البويضة ويبقيها^(٢).

وأول جنين ولد بهذه الطريقة كان عام ١٩٧٨م في إنجلترا وتبعته أعداد متزايدة من الأجنة التي بدأت حياتها في أنبوب اصطناعي من صنع البشر لا أنبوب رحمي^(٣).

والمهم أن الإنسان لا يأتي بجديد، فالعملية من أولها إلى آخرها تقليد لما يحدث عادة في بوقي الرحم، ولكنه تطور فني خصوصاً إذا اقتضت هذه التكنولوجيا على حالات طبية محددة، تحفظ للمجتمع كرامته^(٤).

* * *

(١) الشبكة العنكبوتية عبر الموقع التالي: www.islamicmedicine.org

(٢) أخلاقيات التلقيح الاصطناعي، للدكتور محمد علي البار (ص: ٤٣)، أضواء على التلقيح الاصطناعي والتناسل، للدكتور عدنان صالح الجنابي (ص: ٨).

(٣) أضواء على التلقيح الاصطناعي والتناسل، للدكتور عدنان صالح الجنابي (ص: ٦٩-٧٠).

(٤) أطفال الأنابيب بين العلم والشرعية، تأليف / زياد أحمد سلامة (ص: ٥٤).

المبحث الثالث صور التلقيح الصناعي وأنواعه

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : صور التلقيح الصناعي :

التلقيح الصناعي له عدة صور أذكر منها :

أولاً: يجري التلقيح بين نطفة مأخوذة من زوج وبويضة مأخوذة من امرأة ليست زوجته، ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجته .

ثانياً: أن يجري التلقيح بين نطفة رجل غير الزوج وبويضة الزوجة ثم تزرع تلك اللقيحة في رحم الزوجة .

ثالثاً: أن يجري تلقيح خارجي بين مني من الزوج وبويضة مأخوذة من الزوجة ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة متطوعة بحملها .

رابعاً: أن يجري تلقيح خارجي بين نطفة من رجل أجنبي وبويضة امرأة أجنبية وتزرع اللقيحة في رحم الزوجة .

خامساً: أن يجري تلقيح خارجي بين نطفة الزوج وبويضة من الزوجة ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة الأخرى لهذا الزوج، لأن له زوجتين .

سادساً: أن تؤخذ نطفة من الزوج وبويضة من الزوجة، ويتم التلقيح خارجياً ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة .

سابعاً: أن تؤخذ نطفة الزوج وتحقن في الموضع المناسب من مهبل زوجته أو رحمها لتلقح تلقيحاً داخلياً^(١) .

(١) أخلاقيات التلقيح الصناعي للدكتور / محمد البار (ص : ٤٧) ، والأحكام الطبية المتعلقة بالنساء للدكتور / محمد خالد منصور (ص : ٨٣) ، وأطفال الأنابيب بين العلم والشريعة (ص : ٧٧) ، وأطفال الأنابيب مع بيان حكم التلقيح الصناعي للدكتور / أبو سريع عبد الهادي (ص : ٦٢) .

المطلب الثاني: التلقيح الصناعي الداخلي

سبق أن عرفت التلقيح الصناعي وقلت بأنه إجراء عملية التلقيح بين حيوان الرجل المنوي وبويضة المرأة عن غير الطريق الطبيعي المعهود .
وللتلقيح الصناعي نوعين فقط، وسوف أتكلم عن كل نوع منهما بشيء من التفصيل .

ففي التلقيح الصناعي الداخلي يتم إدخال مني الزوج إلى داخل رحم الزوجة بوسائل طبية معينة، حيث يؤخذ السائل المنوي حاراً غير بارد، بعد وضعه في إناء نظيف معقم غير مبلل بالماء، ويسحب بمحقن خاص ليدخل إلى الرحم رأساً، وتترك المرأة بعدها ممدودة على ظهرها مدة ساعة تقريباً ليساعد النطف على الوصول إلى الجهاز التناسلي حيث تنتظرها البويضة في البوق، ولا تجري هذه العملية إلا في اليوم المحدد للتبويض أي يوم خروج البويضة من المبيض^(١).

المطلب الثالث: التلقيح الصناعي الخارجي

يتم في هذه الحالة جمع الحيوانات المنوية مع البويضة خارج الرحم في أواني أو أنابيب أو رحم صناعي، حيث تؤخذ بويضات ناضجة من المبيض بعد تنشيطه بواسطة حقن هرمونية، وتوضع في أنبوب خاص يحتوي على سائل فسيولوجي مناسب، ثم تضاف إليه حيوانات منوية طازجة وتترك حتى يحصل التخصيب، وعندما تصبح النطفة الأمشاج ثنائية الخلية أو رباعية أي بعد الانقسام، تنقل البويضات الملقحة عن طريق المهبل إلى داخل الرحم لتتعلق بجدار الرحم .

ويمكن عزل النطفة الأمشاج و تخزينها في ثلاجة خاصة لفترات متراوحة من الزمن تحت درجة معينة من الحرارة، ثم نقلها إلى رحم الأم أو الرحم المستأجرة في الوقت

(١) انظر: أطفال الأنابيب بين العلم والشرعة، لزياد سلامة (ص : ٧٩)، وأخلاقيات التلقيح الصناعي (ص :

٤٤)، والأحكام الطبية المتعلقة بالنساء للدكتور / محمد منصور (ص : ٧٧) .

المناسب، فقد لا تكون الأم مستعدة فسيولوجياً أو حتى نفسياً أو اجتماعياً لاستقبال البويضة الملقحة داخل رحمها، فيتم الاتفاق على موعد آخر يضمن نجاح العملية.

وهذا يعني أنه سيصبح بالإمكان مستقبلاً الاحتفاظ بالنطفة والأمشاج الملقحة لزوجين ما داخل (بنك الأجنة) لفترات طويلة في بعض مراكز معالجة العقم والاستفادة منها في وقت لاحق.

ويلجأ إلى التلقيح الصناعي الخارجي في بعض الحالات هي:

١- تلف بوق الرحم بصورة لا ينفع معها العلاج بما في ذلك استعمال أشعة الليزر.

٢- ضعف الحيوانات المنوية للرجل^(١).

٣- انخفاض عددها عن (٢٠) مليون حيوان منوي^(٢).

٤- وجود مضادات للحيوانات المنوية داخل السائل المهبلي^(٣).

٥- بطء حركة النطف.

٦- نفور سوائل عنق الرحم اللعابية من الحيوانات المنوية وعرقلة حركتها نحو فتحة الأنابيب الرحمية لتلقيح البويضة، فيلجأ إلى تخصيب البويضة خارجياً وداخل الأنبوب الاصطناعي^(٤).

٧- إصابة الزوجة ببعض الأمراض التي تساعد على الحمل، فتلقح البويضة

(١) أخلاقيات التلقيح الصناعي (ص: ٦٥)، وأضواء على التلقيح الاصطناعي والتناسل للدكتور/ عدنان (ص: ٧١).

(٢) أخلاقيات التلقيح الصناعي (ص: ٦٥)، وأضواء على التلقيح الصناعي (ص: ٧١).

(٣) أخلاقيات التلقيح الصناعي (ص: ٦٦).

(٤) أخلاقيات التلقيح الصناعي (ص: ٦٦)، وأضواء على التلقيح الصناعي (ص: ٧١).

بمجي الزوج ثم توضع في رحم بديل .

٨- الأورام البطانية الرحمية .

٩- تقاعس الأنابيب الرحمية عن القيام بوظائفها كاملة .

١٠- امتناع الحويصلة عن إطلاق بويضات ناضجة في الوقت المناسب .

١١- أسباب غامضة ومجهولة^(١) .

المبحث الرابع

خطوات التلقيح الصناعي والشروط اللازمة

هناك عدة خطوات للقيام بالتلقيح الصناعي، وشروط لازمة لابد من توافرها لتتم العملية على الوجه الصحيح وهي على النحو التالي :

أولاً: أن يكون عمر المرأة أقل من أربعين عاماً، إضافة إلى تمتعها بصحة جيدة، وأن لا تشكوا من السمنة أو أمراض قد تعرض حياتها للخطر إذا نجحت العملية وأصبحت حاملاً.

ثانياً: أن يكون للمبيض القدرة على إنتاج بويضة، إما تلقائياً أو بواسطة الأدوية المنشطة.

ثالثاً: الحصول على بويضات ناضجة من المبيض، ولتحقيق ذلك تعطى المرأة دواء (هرمون لتنشيط الغدد) في بداية الدورة الشهرية، كما تحقن المرأة بهرمونات أنثوية أخرى لتنشيط الغدة النخامية، ثم تراقب الحويصلات الناقلة للبويضات بواسطة فحوصات مخبرية مثل كمية خروج الأستروجين في البول، وعندما تؤكد

(١) أخلاقيات التلقيح الصناعي (ص: ٦٥)، الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء، للدكتور / محمد منصور

(ص: ٧٧).

هذه الفحوصات نضوج البويضات داخل الحويصلات المبيضية تشفط البويضات من داخل الحويصلات عن طريق عملية التنظير.

رابعاً: توضع البويضة في سائل (محلول) له نفس خواص مفعول السائل الموجود في داخل البوق وفي أنسجة جسم المرأة، وتوضع البويضة داخل هذه السائل ومعها كميات من الدم أخذت من الرحم وأضيفت إليها عناصر أخرى للتغذية، ويوضع الجميع في حاضنة لها درجة حرارة معينة وخواص أساسية، وذلك لحمايتها من التلوث.

خامساً: يطلب من الزوج تحضير نفسه لتقديم المني الطازج، وهذا المني يمزج في محلول فسيولوجي خاص، ثم تلقح البويضة بإضافة ملي لتر من المحلول المحضر والذي يحوي على ١٠٠ ألف نطفة على الأقل.

سادساً: يمزج المني مع البويضات لفترة تتراوح بين ١٠ إلى ١٦ ساعة، وبعدها تفحص العينة للتأكد فيما إذا قد حصل تلقيح أو لا، وذلك بملاحظة الانقسام.

سابعاً: تترك البويضة التي لحقت لفترة قد تصل إلى أربعة أيام وهي أكثر المراحل أهمية، وكل ذلك يقع في درجة حرارة مطابقة تماماً لدرجة الحرارة في رحم الأم.

ثامناً: تجري فحوصات على العناصر المسؤولة عن الوراثة للتأكد من عدم حصول أي خلل يشوه المولود.

تاسعاً: يتابع انقسام الخلايا إلى ٢ ثم ٤ ثم ٨ ثم ١٦ ثم ٣٢، وعندما تصل الخلايا إلى العدد ٣٢ أو ٦٤ يمكن حينئذ زرع الجنين في الرحم عن طريق المهبل وهذه العملية لا تتطلب جراحة جديدة.

عاشراً: تبقى المرأة التي ألقي في رحمها بويضة ملقحة مستلقية على ظهرها لعدة ساعات بعد العملية، ولا داعي لاستعمال التخدير في هذه العملية.

الحادي عشر: بعد زرع البويضة الملقحة في الرحم تعطى المرأة هرمونات لمدة أسبوعين تقريباً حتى يتم التأكد من التصاقها بجدار الرحم .

الثاني عشر: نسبة نجاح عملية التلقيح تتراوح بين ١٠ إلى ١٥، و ١٠ إلى ٣٠ في أفضل التقارير.

الثالث عشر: أهم مشكلة تواجه الأطباء هي مشكلة التوقيت، وهي مشكلة دقيقة جداً وتحتاج إلى عناية خاصة، ونعني بالتوقيت إلقاء البويضة الملقحة في الرحم حينما يكون على أتم استعداد لاستقبالها وتقبلها .

الرابع عشر: وهي أهم نقطة، التوفيق من الله تعالى لهذه العملية إذا قصد بها الأمر المباح لا غير^(١).

* * *

البحث الخامس

أخطار التلقيح الصناعي والتشوهات المحتملة

إن عدد الأطفال الذين يولدون بهذه الطريقة عن طريق الأنبوب في الرحم قليل جداً، إضافة إلى نجاحها في أزمان متأخرة وهذه مسألة تحتاج إلى متابعة طويلة لمعرفة سلامة الوليد جسماً ونفسياً، وفي جميع التقادير فإن نقل النطفة إلى أنبوب ونقل البويضة إلى أنبوب آخر ووضعها في محاليل خاصة ثم مزجها وإرجاعهما بعد ذلك إلى الرحم، كل هذه العمليات تخالف حركة المني والبويضة داخل جسم الإنسان، وهي لا تكاد تخلوا من اضطراب إن أجريت في أنبوب أو رحم صناعي لعدة أيام، وبالتالي يحتمل حدوث تشويه خلقي في الجنين؛ لأن دقة

(٢٤) أخلاقيات التلقيح الصناعي (ص: ٦٠)، أطفال الأنبوب بين العلم والشرعية، تأليف / زياد أحمد سلامة (ص: ٦٠-٦٤)، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد البار (ص: ٥٠٠-٥٠١)، طفل الأنبوب، د. محمد البار (ص: ٤٩)، وانظر موقع: www.islamicmedicine.org

النطفة والبويضة تتأثر بكل حركة غير طبيعية أو حركة مخالفة لحركتها داخل جسم الرجل والمرأة ثم داخل الرحم .
ولا يبعد أن يحدث إجهاض في أحد مراحل النمو، وكذلك يمكن الحصول على توأمين أو أكثر بسبب زراعة أكثر من بويضة ملقحة داخل الرحم .
ويتوقع أن تكون نسبة إجراء العمليات القيصرية مرتفعة جداً للظروف الاستثنائية التي تعيشها الحامل (١) .

* * *

المبحث السادس التلقيح الصناعي عند غير المسلمين

الكثير من أطباء الأمراض النسائية حتى في الأقطار الأجنبية يستنكرون عملية التلقيح ويمتنعون عن إجرائها حتى ولو كانت بطلب الزوج والزوجة معاً .
ولازدياد حوادث التلقيح الصناعي في بريطانيا فقد تشكلت لجنة حكومية هناك لدراسة شرعية هذه العمليات، وأقرت اللجنة أن العملية التي تتم على غير علم من الزوج أو بعلمه دون رضاه، فإنها تعتبر حادثة زنا وحجة يتذرع بها الزوج على طلاق زوجته، والمحاكم البريطانية لا تعتبر الطفل الذي يولد بهذه الطريقة ابناً شرعياً كما تحرمه من الميراث أيضاً ما لم يقدم الزوج والزوجة طلباً إلى المحكمة المختصة لتبني الطفل بعد ولادته .

وفي ألمانيا لا تعتبر العملية زنا إذا تمت برضا الزوج، وقد أثبتت هذه المشكلة بمجلس العموم البريطاني وأحيلت إلى لجنة مختصة لبحثها .

وفي إيطاليا أصدر البابا أمراً بالتحريم، وفي فرنسا قال الأطباء إنه جائز إذا كان

(١) أخلاقيات التلقيح الصناعي (ص: ٥٢) .

بموافقة الزوجين .

وفي النمسا تعترف الدولة بالمولود كطفل شرعي للزوجين إلا إذا اعترض الزوج قانونياً على ذلك .

وبعض المحاكم ورجال الدين من غير المسلمين حرموا حتى التلقيح الصناعي بين مني الزوج وبويضة الزوجة .

ففي عام ١٨٨٣م قالت المحكمة المدنية في بوردو : إن الطبيب الذي قام بهذا التلقيح إنما قام بعمل غير مشروع ، نظراً لأن هذه الطريقة ليس من شأنها معالجة أسباب العقم لدى الرجال أو النساء ، لكي يكونوا صالحين للإنجاب .

وفي عام ١٩٥٦م صدر قرار من محكمة استئناف ليون جاء فيه : إن عجز الزوج جنسياً لا يبرر إلحاح زوجته عليه باللجوء إلى تلقيحها منه اصطناعياً ، لإشباع غريزة الأمومة فيها ؛ لأن موافقته في ذلك ضعف في طبعه نشأ عن قبوله بهذه الوسيلة المهينة لكرامته .

أما التلقيح الصناعي بين أجنبيين فقد أدين من قبل الشخصيات والكيانات العلمية .

فقد أدانته أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية الفرنسية بتاريخ ٩ آذار ١٩٤٩م بالقول : إن هذه النوع من التلقيح لمعالجة عقم الرجل يثير في الأسرة عقبات كبرى من النواحي الأخلاقية والقانونية والاجتماعية في شأنها أن تجعلنا نوصي بعدم اللجوء إليه لمخاذه النفسية العاجلة ، أو الآجلة .

وقد عارضت الكنيسة عملية التلقيح الصناعي بين أجنبيين ففي وثيقة الفاتيكان الشهيرة ، والتي أقرها البابا يوحنا بولس الثاني بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٨٧م ، وجاء فيها : (واستناداً إلى جميع القيم والمبادئ اللاهوتية والروحية والأخلاقية الواردة في الوثيقة فإن الكنيسة : تشجب كل عملية إخصاب تتعدى

على وحدة الزواج، مثل إخصاب بويضة للزوجة بحيوان منوي لرجل آخر غير الزوج، أو إخصاب بويضة امرأة غير الزوجة بحيوان منوي من الزوج.

وتشجب الكنيسة كل عملية إخصاب تدعي الحلول محل الزواج مثل الإخصاب الصناعي لامرأة غير متزوجة سواء كانت بتولاً أو أرملة، أيّاً كان الواهب للحيوان المنوي.

وتشجب عملية الإخصاب في الأنابيب، وتطالب باحترام الأجنة البشريذا كانت حية أو قابلة للحياة إذ يجب احترامها كسائر البشرية إذا كانت حية أو قابلة للحياة إذ يجب احترامها كسائر البشر لأنها كائنات بشرية، وبالتالي لا يجوز إجراء أية تجارب عليها غير مشروعة أخلاقياً، ولا يجوز معاملتها معاملة أشياء مختبرية.

وتحذر الوثيقة من أي شكل من أشكال التحكم البيولوجي أو الوراثي في الأجنة مثل محاولات الإخصاب بين خلايا تناسلية بشرية وحيوانية، وتطالب باحترام الأجنة البشرية التي أجهضت مثلما تحترم جثة أي إنسان.

وكما توجه الكنيسة نداءً إلى السلطات المدنية كي تمنع على الصعيد القانوني ليس فقط عملية الإخصاب في الأنابيب بل أيضاً بنوك الأجنة وعملية الإخصاب بعد موت الزوج والأمومة البديلة^(١).

المبحث السابع

آراء الفقهاء في التلقيح الصناعي

في البداية لابد من بيان أن الفتوى الصادرة من الفقهاء تارة تُبنى الفتوى على ما تشتمله عملية التلقيح الصناعي من أفعال محرمة من قبيل النظر إلى ما يحرم

(١) أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، لزياد سلامة (ص: ٢٣١)، وانظر عبر الانترنت موقع:

النظر إليه أو اللمس المحرم أو الاستمنااء للحصول على ماء الرجل ونحو ذلك، وتارة تكون الفتوى مبنية على الناظر إلى التلقيح في نفسه دون ما يقارنه من أمور محرمة خارجة عن الحقيقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالتلقيح الصناعي قد يفترض له حالتان:

إحدهما: أن يتم التلقيح من الرجل وحليلته.

والأخرى: أن يتم التلقيح بين الرجل وامرأة أخرى ليست بحليلة له.

وأكثر الفتاوى الصادرة تكاد تكون متفقة على حكم الفرض الأول، وإنما يوجد بعض الاختلاف في وجهات النظر الفقهية بالنسبة إلى الغرض الأخير.

ومجمل القول في ذلك: أنه في صورة اشتغال عملية التلقيح الصناعي على أمر محرم فلا يسوغ القيام بذلك، نعم لو كانت هناك ضرورة فهنا تكون كسائر حالات المعالجة والتداوي التي تستثنى من الحكم العام ولا يحكم بحرمتها.

وأما في صورة خلو التلقيح عن أي فعل محرم، فإن تم التلقيح من الرجل وحليلته فأكثر الفقهاء أفتوا بالجواز، وإن تم التلقيح بين الرجل وامرأة أخرى فالأكثر إن لم يكن الكل قد أفتوا بالحرمة.

وفيما يلي أنقل آراء بعض العلماء والفقهاء المعاصرين:

قال الشيخ محمود شلتوت رحمه الله: بالنسبة لحكم الشريعة في التلقيح الصناعي الإنساني، أنه إذا كان بماء الرجل لزوجته كان تصرفاً واقعاً في دائرة القانون والشرائع التي تخضع لنظم المجتمعات الإنسانية الفاضلة، وكان عملاً مشروعاً لا إثم فيه ولا حرج، وهو بعد هذا قد يكون في تلك الحالة سبيلاً للحصول على ولد شرعي يذكر به والده وبه تمتد حياتهما وتكتمل سعادتهما النفسية والاجتماعية.

وقال رحمه الله في موضع آخر: وإذا كان التلقيح بماء رجل أجنبي عن المرأة لا يربط بينهما عقد زواج فهو في هذه الحالة يكون في نظر الشريعة الإسلامية جريمة منكراً وإثماً عظيماً يلتقي مع الزنى في إطار واحد جوهرهما واحد ونتيجتهما واحدة وهي وضع ماء رجل أجنبي قصداً في حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزواج شرعي ولولا وجود قصور في صورة الجريمة لكان حكم التلقيح في تلك الحالة هو حكم الزنى^(١).

وجاء في فتوى للشيخ عز الدين الخطيب التميمي مفتي المملكة الأردنية الهاشمية في فتواه المؤرخة بتاريخ ١٠/٤/١٤٠٥هـ: إن التلقيح الصناعي (طفل الأنبوب) أمر جائز في الشريعة الإسلامية للضرورة إذا أجري التلقيح حال قيام الزوجية بين الزوجين فقط، أي بمني الزوج وبويضة الزوجة إذا اقتضت ظروف الزوجية اللجوء إليه بشروط وقواعد تضمن سلامة الأنساب.

ويجب على من يقوم بهذه العملية الاحتياط في حفظ البويضة الملقحة حتى لا تختلط بغيرها من البويضات الملقحة؛ لأن التهاون في حفظها والخطأ فيها يؤدي إلى آثار في غاية الخطورة على الإنسان والأرحام والأعراض^(٢).

وقال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: وحكم إخصاب النطفة خارج الرحم، مداره في الإباحة والحرمة على أمرين:

الأمر الأول: أن يتأكد العلماء والأطباء تأكيداً تاماً من أن هذه الطريقة لن تعقب أي ضرر صحي أو نفسي أو عقلي في الجنين بعد ولادته، فأما إذا لم يتوافر هذا اليقين فإن الإقدام على ذلك محرم بالاتفاق عملاً بالقاعدة الشرعية الكلية: لا ضرر ولا ضرار.

(١) فتاوى الشيخ شلتوت (ص: ٣٢٨)، والأحكام الطبية المتعلقة بالنساء للدكتور / محمد خالد منصور (ص: ٨٣).

(٢) انظر عبر الانترنت الموقع التالي: www.islamicmedicine.org

الأمر الثاني : ألا يستتبع الإقدام على هذا العمل اختلاط في الأنساب .
وقد تبنت ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام المنعقدة في الكويت سنة ١٤٠٣ هـ جواز عملية التلقيح الصناعي بين الزوجين^(١) .
وقد قرر مجمع الفقه الإسلامي في دورته الثامنة المنعقدة بمكة المكرمة في عام ١٤٠٥ هـ بشأن طرق التلقيح الصناعي ما يأتي :
إن الطرق الخمس الأولى كلها محرمة شرعاً وممنوعة منعاً باتاً لذاتها أو لما يترتب عليها من اختلاط الأنساب وضياع الأمومة وغير ذلك من المحاذير الشرعية .
أما الطريقتان السادس والسابع فقد رأى مجلس المجمع أنه لا حرج من اللجوء إليهما عند الحاجة مع التأكيد على ضرورة أخذ كل الاحتياطات اللازمة^(٢) .

المبحث الثامن

التلقيح الصناعي بعد وفاة الزوج وحكمه

قد يقوم الزوج بحفظ منيه في أنبوبة أو مختبر أو مستودع لحفظ المنى لتلقيح زوجته عند الكبر أو عند الوفاة بوصية منه أو بدون وصية، فهل هذه العملية جائزة أم محرمة؟

الذي يظهر لي أن جواز العملية أو حرمتها يتوقف على أمور أهمها إثبات بقاء الزوجية بعد الموت أو نفيها، وهذه المسألة قد اختلف فيها أهل العلم والراجح أن الزوجية باقية بعد الموت، ويدل لذلك جواز تغسيل أحد الزوجين للآخر بعد الموت كما صرح بذلك بعض العلماء رحمهم الله^(٣) .

(١) مجلة العربي (العدد ٥٤٢، ص: ٥٣) .

(٢) قرارات المجمع الفقهي الإسلامي (ص: ١٥٩) .

(٣) الكافي، لابن قدامة (٣/ ١٥٧)، والمنتقى في الفتاوى (١/ ١١٨)، القوانين الفقهية، لابن جزي (ص: ٩٢)، ومغني المحتاج (١/ ٣٣٥)، والوجيز (١/ ٧٣)، ومسائل الإمام أحمد (ص: ١٣٦)، والعدة شرح العدة (ص: ١٥٩) .

ومن المعلوم أن الزوجية لا تنتهي بالموت بل تنتهي بانتهاء العدة، وبقاء الزوجية هل يبرر عملية التلقيح الصناعي من حيث الجواز؟

وهنا عدة تساؤلات منها: لو عزل الزوج منيه في أنبوبة طبية، هل يجوز للزوجة أن تلحق به نفسها في الأزمنة التالية:

أولاً: بعد موت الزوج وقبل دفنه.

ثانياً: بعد دفن الزوج وأثناء عدة الوفاة.

ثالثاً: بعد انتهاء العدة.

فهل يجوز سحب مني الزوج بعد موته وقبل برد جسمه، ثم تلقيح الزوجة به في أثناء العدة وبعد انتهائها؟

ولو تم عزل بويضة الزوجة هل يجوز تلقيحها بمنى الزوج بعد وفاته؟

وهل يجوز تلقيح بويضة امرأة ميتة محفوظة في أنبوبة مع مني رجل ميت

أجنبي، ووضعها في رحم امرأة ثانية؟

لا شك في تحريم الصورة الأخيرة، أما بقية الصور فقد اختلف فيها الفقهاء المعاصرون، ومنهم الشيخ مصطفى الزرقاء حيث قال: إن هذه الصورة محتملة الوقوع ومن الواضح أن الإقدام عليها غير جائز شرعاً لأن الزوجية تنتهي بالوفاة، وعندئذ يكون التلقيح بنطفة من غير زوج، فهي نطفة محرمة^(١).

وذهب الدكتور عبدالعزيز الخياط إلى الجواز فقال: وقد يلجأ الرجل إلى حفظ منيه في مصرف منوي (بنوك الأجنة) لحسابه الخاص ثم يتوفى وتأتي زوجته بعد الوفاة فتلقح داخلياً بنطفة منه وتحمل، والحكم في هذا الولد أنه ولده، أن العملية وإن كانت غير مستحسنة فهي جائزة شرعاً^(٢).

(١) أطفال الأنابيب بين العلم والشرعة (ص: ٨١).

(٢) المرجع السابق (ص: ٨٢).

أما بعد انتهاء العدة فالذي يظهر أن الزوجية قد انقطعت فلا يجوز التلقيح في هذه الحالة، وما أذهب له هو المنع منه مطلقاً بعد الوفاة.

* * *

المبحث التاسع الرحم المستأجرة وبنوك الأجنة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حكم المعاملة على الرحم المستأجرة

إن في المباحث التي تنير جديلاً فقهيّاً في التلقيح الصناعي مبحث الرحم البشرية المستأجرة، حيث تكون البويضة وماء الرجل من زوجين عادة، ثم يتم تلقيحها صناعياً وتودع في رحم امرأة أخرى بأجرة معينة متفق عليها، حتى إذا ما ولدت تم رجوع المولود إلى الزوجين كولد لهما.

ومن الواضح القول : إن المحاذير كلها منطبقة فإن تجاوزنا ما يمكن تحليله منها بقي محذوران وهما :

– دخول ماء الأجنبي في رحم الأجنبية، وهذا ما يحصل دائماً.

– وحصوله الحمل للمرأة غير المتزوجة إن كانت صاحبة الرحم المستأجرة غير متزوجة وهو أيضاً لا مجوز له.

وأما المحاذير الأخرى فينطبق منها ما يلي :

أولاً : ما يمكن أن يحصل فيه من اختلاط الأنساب فيما إذا كانت المرأة المستأجرة محرماً شرعياً على الرجل الزوج.

ثانياً : التقاء بويضة مع مني رجل ليس بينهما زواج شرعي.

فإن من جملة احتمالات استئجار الرحم : أن لا يكون بين صاحبة البويضة

وصاحب النبي زواج، كما لو كانت البويضة من المرأة المستأجرة أو من غيرها، والمهم أن لا تكون من زوجة الرجل، فيلزم هذا المحذور لا محالة.

ثالثاً: والأهم من ذلك محذور أن المرأة المتزوجة لا يجوز أن يدخل رحمها ماء رجل آخر، وهذا ما يحصل فيما إذا كانت المرأة المستأجرة متزوجة.

رابعاً: حصول الذرية لغير المتزوجين، وهذا يحصل فيما إذا كانت المرأة المستأجرة غير متزوجة، على ما هو الصحيح من إلحاق الولد بها.

خامساً: كما أنه يحصل للرجل فيما إذا لم يكن متزوجاً ورغب أن يكون له ذرية عن طريق الاستئجار، سواء كانت البويضة من المرأة المستأجرة أو من غيرها.

وتواجه المرأة المستأجرة إشكالاً آخر خاصاً بالمتزوجة وهو: أنها تشغل رحمها لصالح رجل آخر، مع إمكانها أن تشغله لصالح زوجها، وهذا حرام بغض النظر عن أي محذور سابق.

ثم إن معاملة الإجارة هذه معاملة باطلة لأنها معاملة على عمل محرم، ولا تستحق المرأة الأجرة.

وعلى هذا الأساس فإن افتتاح وكالات لتأجير الأرحام حرام لأنه متاجرة بالحرام، والمتاجرة بالحرام حرام قطعاً، وهذه قاعدة ثابتة في الشريعة الإسلامية^(١).

ويكثر تأجير الأرحام في الدول غير الإسلامية، وهنالك شركات خاصة في العالم الغربي مهمتها البحث عن النساء الراغبات في تأجير أرحامهن والحمل عن غيرهن، وفي مدينة لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية تكونت جمعية الأمهات البديلات أو الأمهات المستعارات يتوافد عليها عدد من الأزواج المصابين

(١) أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة (ص: ١٢٧)، وعبر الانترنت الموقع:

بنوع من العقم للبحث عن رحم مستعار^(١).

أما في الدول الإسلامية فإن تأجير الأرحام لا وجود له إطلاقاً ولا وجود لشركات أو وكالات أو مراكز تقوم بهذه المهمة، ولو حدثت مستقبلاً فينبغي ملاحقتها من قبل الدولة وسلطاتها القضائية للمحافظة على الأنساب، وعدم التشجيع على الحرام، وتحرير الإنسان من عبودية المادة والمال^(٢).

المطلب الثاني: بنوك الأجنة وحكمها

هذا المصطلح يعني الاحتفاظ بنطفة الذكر في تخزين مبرد، واستعمال جينات من هذا المخزون عند الحاجة ومن ذلك احتفاظ الذكر بهذا المخزون واستعماله في الوقت اللازم لتخصيب زوجته لغرض إنجاب طفل جديد خاصة إذا أصبح عاجزاً بسبب المرض أو الإجراء الجراحي أو العلاجي عن تخصيب زوجته مباشرة، ومع أن لهذه التقنية مبرراتها الطبية والإنسانية، إلا أن الخطورة تكمن في إنشاء بنوك للنطف والتي يحتفظ فيها بعينات من مختلف مصادر النطف، وهذا ما هو موجود الآن في بعض البلدان الغربية.

ومن الطريف أن أحد المؤسسين لمثل هذه المصارف قد أسس مصرفاً كهذا في كاليفورنيا عام ١٩٨٠م وراح يجمع نطفات من بعض الحائزين على جوائز نوبل ويبيعها للإناث الراغبات في أطفال من آباء نابغين، وقد أفادت وسائل الإعلام عام ١٩٩٢م بأن طبيباً جراحاً قد أجرى العديد من تقنيات التخصيب الصناعي باستعمال مصدر واحد، وهو مادته المنوية، وقد أدين هذا السلوك وحكم عليه بالسجن في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي مقابل ذلك كان هناك بنك لحفظ البويضات لغرض تلقيحها وتخصيبها

(١) أطفال الأنابيب بين العلم والشرعة (ص: ١٢٣).

(٢) المرجع السابق.

ثم إدخالها أحد الأرحام المستعدة لحفظها وهذا البنك المخصص لحفظ المادة المنوية والبويضات محرم شرعاً من قبل أغلب الفقهاء، فهو محرم من ناحية أسبابه ومن ناحية نتائجه^(١).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

بعد الاجتهاد في كتابة هذا البحث ظهرت لي عدة نتائج وتوصيات أوجزها في النقاط التالية:

١- إن ميل الإنسان ذكراً كان أو أنثى إلى طلب الولد بالطرق الشرعية المعهودة هو أمر مشروع فطري فطر الله الناس عليه.

٢- أن الوضع الصحيح للذكر والأنثى من ناحية التناسل والتكاثر هو عن طريق الزواج والحمل الطبيعي دون تدخل أو إجراء أية عملية صناعية.

٣- التلقيح الصناعي يلجأ إليه غالباً في حال وجود عيوب أو موانع تمنع الحمل الطبيعي.

٤- التلقيح الصناعي جائز بين الزوجين سواء كان داخلياً أو خارجياً، مع توخي الحذر عند نقل الحيوان المنوي أو البويضة حتى لا يختلط بغيره.

٥- الإجماع على تحريم التلقيح الصناعي بين أحد الزوجين وآخر أجنبي عنهما.

٦- تحريم تأجير الأرحام أو المعاملة على استئجارها واعتبار ذلك العمل من الأمور المحرمة.

٧- تحريم ما يسمى ببنوك الأجنة ووجوب محاربتها والتصدي لها لما فيها من

(١) عبر الانترنت الموقع: www.islamicmedicine.org

مفسد وأخطار على الإنسان والأعراض.

٨- أن التلقيح الصناعي بعد وفاة الزوج غير جائز وإن رأى البعض الجواز ما لم تنته العدة وذلك من باب الاحتياط وسداً لأبواب شرٍ كبيرة لو فتحت للناس لتمادوا فيها وتوسعوا.

٩- صيانة للمجتمع من عبث العابثين وذلك بالتوعية الصحية والعلمية الشرعية حتى لا ينجرف المسلم خلف الغرب في كل ما يأتون ويذرون.

١٠- معرفة أن هذا التلقيح لا يتم أيضاً إلا بتوفيق من الله وحده.

هذا ما تيسر لي، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله

المراجع والمصادر

- * منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة دراسة تأصيلية تطبيقية، للدكتور / مسفر بن علي القحطاني، دار الأندلس الخضراء، ط ١، جدة، ١٤٢٤هـ.
- * قرارات المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، طبعة خاصة.
- * أضواء على التلقيح الاصطناعي والتناسل، للدكتور / عدنان صالح الجنابي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط ١، ١٩٨٧م، موسوعة علوم (١٠).
- * أخلاقيات التلقيح الاصطناعي، للدكتور / محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٧هـ، جدة.
- * أطفال الأنابيب، للدكتور / أبو سريع محمد عبد الهادي، الدار الذهبية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م.

- * فسيولوجيا التناسل والتلقيح الصناعي، للدكتور / أحمد رحال والدكتور / حسن المبروك، منشورات جامعة الفاخ، طرابلس، ليبيا، ط ١، ١٩٩٨ م.
- * أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، للدكتور، زياد أحمد سلامة، دار العربية للعلوم، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- * العقم وتعثر الإنجاب عند الرجال، للدكتور / كاظم سليم عايش، البكيرية، القصيم، ط ١، ١٤١٩ هـ.
- * الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء في الفقه الإسلامي، للدكتور / محمد خالد منصور، دار النفائس، الأردن، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- * دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، للدكتور / عمر الأشقر وآخرون، دار النفائس، الأردن، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- * أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة، للدكتور / محمد نعيم ياسين، دار النفائس، الأردن، ط ٣، ١٤٢١ هـ.
- * الشبكة العالمية (الانترنت) وعبر المواقع التالية:

www.islamicmedicine.org/views.htm
